و للروح ارتواء

تفريغ محاضرة

# قصة الإسراء والمعارج

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/٤/٢٤ هـ

قصة الإسراء والمعارج

**بسم الله الرحمن الرحيم**

إن الحمد لله نحمده ونستعيذه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الا الله وأن محمد رسول الله.

أمّا بعد:

دعونا في هذه الليلة نسافر إلى السنة التاسعة والعاشرة من بعثة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - والأحداث التي ستتحدث عنها الليلة هي الأحداث التي تلت المرحلة التي اشتد فيها أذى المشركين على النبي - عليه الصلاة والسلام - وكل من أسلم بدعوته منذ أن نزلت الآية:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} (المدثر: ١-٥).

والنبي - عليه الصلاة والسلام - يدعوا قومه ولا يبقى موسم من مواسم الحج إلا ويعرض نفسه على جميع الخيام وعلى جميع القبائل حتى يعرض دعوته ويقول من يؤويني لأبلغ دعوة ربي فما منهم أحد إلا وهو يرد النبي - عليه الصلاة والسلام - وخلفه عمه أبو جهل وأبو لهب وغيرهم ممن يكذبون النبي - عليه الصلاة والسلام - ويقولون للأقوام ممن لا يعرف النبي - عليه الصلاة والسلام - دعوكم منه فنحن أخبر الناس به، أي أنهم أهله ويعرفونه وكأنه شخص فيه شيء من الجنون،

فكانت العرب تقول قومه أعرف به، أي أنهم من قبائل أخرى لا يعرفون من هو محمد وأهله أعرف به، فما كان طبعًا من النبي - عليه الصلاة والسلام - إلا أنه لم يتوقف واستمر في دعوته فكان يستمر وفي كل ليلة أو ليلتان يقبل عليه بعض الناس ويقبل عليه الشباب الضعفاء والناس الذين لا يملكون شيئًا يخشون خسارته من مال أو جاه مثلًا، فكان البعض مثل عقبة بن أبي معيط وأبي جهل وأبي لهب وغيرهم عندهم الجاه وعندهم السيادة وعندهم المال فكانوا يعرفون أن النبي - عليه الصلاة والسلام - على حق ولكن لم يكن لديهم استعداد للتضحية بذلك الجاه والسؤدد الذي كانوا فيه.

وبقي النبي - عليه الصلاة والسلام - يدعوا كما نعرف ثلاثة عشر سنة في مكة ثلاثة عشر سنة كانت مليئة بالأذى والتعذيب، ونحن نعرف عن سمية بنت خياط وزوجها أيضًا ياسر الذين قُتلوا فسمية - رضي الله عنها – كانت أول شهيدة في الإسلام، أتاها أبو جهل أو أبو لهب وأخذ الرمح فوضعه من أسفلها إلى أن خرج من صدرها فقتلها فقط لأنها أسلمت رضي الله عنها وأرضاها

وأيضًا زوجها كذلك عمار بن ياسر الصحابي المعروف ذهب عقله في تلك اللحظة من اشتداد الأذى والتعذيب الذي تعرض له إلى درجة كان يمر بجانبه الصرصار فكانوا يضحكون عليه فيقولون هذا ربك فيقول نعم نعم، فقد وصل إلى مرحلة لم يكن يعرف ماذا يقول من شدة الأذى والتعذيب، وكذلك قصة بلال - رضي الله عنه - وخباب بن الأرت وغيرهم.

خلال هذا الجو وشدة أذى المشركين ، قرر المشركين بعد فشل كل محاولاتهم في التعذيب والاعتقال أن يحاصروا المسلمين، وبالفعل حوصروا لأكثر من سنة في شعب بني هاشم في القصة المعروفة،
حوصر النبي - عليه الصلاة والسلام - وأهله معه، الأطفال كل بني هاشم كل من يصدق بالنبي - عليه الصلاة والسلام - وكل من هو راضٍ بدعوة النبي - عليه الصلاة والسلام - فأبو طالب لم يكن مسلمًا لكنه كان يدافع عن النبي - عليه الصلاة والسلام- ومع ذلك جعلوه أيضًا في هذا الشعب وحاصروهم حصارًا شديد فمنعوا عنهم الغذاء ومنعوا عنهم الأكل ومنعوا الناس لأكثر من ثلاث سنوات من أن يأكلوا أو يشربوا أو يتاجروا معهم أو يزوجوهم، تخيلوا ثلاث سنوات من القطيعة الكاملة حتى لا يسمح لأحد بأن يبيع لهم الحنطة أو يبيع لهم الشعير أو الماء أو غيره، حتى انتهى الحصار بالقصة المعروفة في خلال هذه السنة.

وهنا وصلنا عند السنة التاسعة تقريبًا، يموت أبو طالب من مرض يصيبه، وتموت في هذه السنة نفسها زوجته خديجة -رضي الله عنها - فيفقد النبي - عليه الصلاة والسلام - ركنين أساسيين في حياته، خديجة زوجته التي كانت أول من آمن به وأول من هدَّأ من روع النبي - عليه الصلاة والسلام – حين التقى جبريل وقال: أخشى أن بعقلي جنونًا، يعني ما هذا الشيء الذي رأيته! فقالت: لا لن يريد الله إلا خيرًا، أنت تصل الرحم وتعين على نوائب المعروف إلى آخره،
فأخذته إلى ورقة بن نوفل وقال له: هذا الناموس الذي أنزل على موسى وأعطاه النبوءة إنك أنت نبي وإن هذا الذي رأيته هو الملك الذي يأتي بالوحي من السماء، فأعطاه النبوة الأولى الفكرة الأولى إلى أن نزل جبريل مرة ثانية وقال له: اقرأ،
وهكذا يفقد النبي – عليه الصلاة والسلام - خديجة من جهة السند والمعاون ويفقد أبو طالب من الجهة الأخرى، في خلال هذه اللحظات اشتد أذى قريش عليه لأن النبي - عليه الصلاة والسلام – أصبح الآن من غير حماية من عمه، فقد كان عمه هو الوحيد الذي يحميه،
فإذا هو ساجد في الحرم وُضِع عليه سلا الجذور فقد أخذوا ناقة ميتة وما بقي في بطنها ووضعوه على النبي - عليه الصلاة والسلام - وهو ساجد، استهزاءً وتنكيلًا به، فلم يرفع النبي - عليه الصلاة والسلام - رأسه حتى جاءت فاطمة تركض من بيتها ثم أخذت تزيح هذا من النبي - عليه الصلاة والسلام -، فعندما رأى النبي – عليه الصلاة والسلام - أن خلال هذه السنة تقريبًا لم يُسلِم أحد ولم يبقَ أحد لكي يسلم، وظن الآن النبي - عليه الصلاة والسلام - أن مكة لم تعُد أرض صالحة، مَنْ أراد الإسلام فقد أسلم الآن لذلك اختار أن يبلغ دعوته لغيرهم فما كان منه إلا أن ذهب إلى الطائف ليجد تربة جديدة يبلغ فيها دين الله - عز وجل -، ونلاحظ هنا قبل أن ندخل في الطائف أن النبي - عليه الصلاة والسلام - في خلال هذا كله لم يصل إلى حلول مداهنة أو معايشة بينه وبين الكفار
كلنا نحفظ سورة الكافرون، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١)لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}(الكافرون: ١-٥).

ولكي نتعرف على سبب نزول هذه الآية، فقد كان الكفار قد عجزوا عن إيقاف دعوة النبي - عليه الصلاة والسلام - فما كان منهم إلا أن دخلوا معه بمفاوضات ترغيب، فالتعذيب والحصار وغيره من أنواع الترهيب لم تنفع مع النبي - عليه الصلاة والسلام -،

فبدؤوا بالترغيب، تريد زوجة زوجناك أجمل نسائنا، تريد مال جمعنا لك أنفس أموالنا، تريد مُلك ملكناك علينا، فما كانت قريش تعرف أن ما مع النبي - عليه الصلاة والسلام - هو النبوة وهو التكليف بالرسالة وهداية الناس وتعبيد الناس شيء خارج مفهومهم الضيق لقضية الملك والسؤدد والمال أو مجرد الزواج بامرأة حسناء،

ولذلك قالوا دعونا نصل إلى حل في الوسط، نعبد ربك سنة وأنت تعبد اللات والعزى معنا سنة، ونكون بهذا قد وصلنا إلى نوع من التعايش بين الأديان، فما كان من النبي - عليه الصلاة والسلام - إلا أن جاءه الوحي وكان رده قاطع أنه لا يستطيع أن يترك دين الله وإما أن يدخلوا في الإسلام أو لا يكون،

ولذلك قال الله عز وجل :{إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران: ١٩).

وفي خلال هذا خرج النبي - عليه الصلاة والسلام – بعد أن فشلت كل محاولات الترغيب والترهيب ، وذهب إلى الطائف، أرض جديدة وأشخاص جدد قد يقبلون دعوته، فلما ذهب إلى الطائف لم يجد منهم إلا النكوص والاعتداء، فلم يردوا دعوته فقط، بل أوصوا سفهاءهم والأطفال الصغار وأعطوهم نوع من الحجر وقالوا لهم اذهبوا وراءه واضربوه بالحجر كي لا يفكر أن يعود مرة ثانية للطائف، هذا مجنون مكة جاء إلينا ليدعونا ويخرب نساءنا،

وبالفعل خرج النبي - عليه الصلاة والسلام - من الطائف بعد أن رُد هذا الرد الشنيع وجاء يلحقه الصبيان معهم حجارة يضربون بها النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى أن دميت عقبه، يعني أسفل رجله، وحزن النبي - عليه الصلاة والسلام - لذلك وكان همًا شديدًا فأين يذهب، وإلى من يبلغ دعوته، تخيلوا الآن هو كل ما يعرف من الدنيا مكة، وبجانبها الطائف، هذه أقصى الدنيا التي يعرفها النبي - عليه الصلاة والسلام - التي يستطيع أن يمشي فيها على رجليه، فهو لا يملك إمكانيات أخرى، فلما كان في ذلك الموقف دعا الله - عز وجل - بذلك الدعاء: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ، قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو طَالِبٍ خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُجِيبُوهُ، فَانْصَرَفَ فَأَتَى ظِلَّ شَجَرَةٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي، إِلَى عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُنِي أَوْ إِلَى قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي، إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ أَوْ تُحِلَّ عَلَيَّ سَخَطَكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»

[أخرجه الطبراني في الدعاء، وقال الألباني: ضعيف]

هذا الحديث في سنده ضعف، لكن ابن القيم يقول هذا الحديث الدعاء عليه من أنوار النبوة، واضح أنه يخرج من مشكاة النبوة،

الآن فلما حصل ودعا النبي - عليه الصلاة والسلام - هذا الدعاء رفع رأسه فإذا بجبريل جاء:

عن عُرْوَةُ، أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدَّثَتْهُ أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ، قَالَ: " لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ مَا لَقِيتُ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمَ العَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ، ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا "[أخرجه البخاري، صحيح]

فكّر النبي - عليه الصلاة والسلام - قليلًا، مكة كلها بين جبال فلو أن هذين الجبلين الذين يحيطان بمكة أغلقوا عليهم ماتوا ولم يبقَ منهم أحد ولا نفس، فقال له النبي - عليه الصلاة والسلام -: لا بل أرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا، فبدعوة النبي - عليه الصلاة والسلام - خرجنا نحن ولو قُطِع نسل قريش والعرب في ذلك الوقت لانتهت الدعوة ولم يبقَ فيهم أي شيء وصرنا مثل قوم نوح أو قوم لوط،

ولكن النبي - عليه الصلاة والسلام - لأنه خاتم المرسلين، وهو الرحمة المهداة إلى العالم، فما كان منه إلا أن اختار هذا الخيار، يعني سأنتظر وأصبر عليهم لعل الله أن يخرج من أصلابهم حتى وإن قست قلوبهم، وإذا ظننا أن هذا الجيل هو أفسد جيل وأنه لا يمكن أن يقوم للإسلام قائمًا في هذا الجيل، فنرى أبو جهل خرج منه عكرمة بن أبي جهل من فرسان المسلمين وما بقي منهم من السادات الكبار العتاهية الذين آذوا الإسلام والمسلمين إلا وأخرج الله من أصلابهم فرسان يذودون عن الإسلام والمسلمين ، فما كان منه إلا أن رجع الى مكة، و في طريقه حصلت له حادثتان.

**الحادثة الأولى:**

أنه في الطريق وجد بستان مفتوح، فدخل فيه النبي –صلى الله عليه وسلم - يستظل بظله، فلما كان في هذا الظل، جاء الرجل القائم على البستان ومعه قطف من العنب، فأخذ الرسول –صلى الله عليه وسلم –وقال: بسم الله، فقال عباس إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلدة! فقال النبي: من أي البلاد أنت؟ قال: أنا نصراني من نينوى، فقال الرسول: أمن قرية الرجل الصالح يونس ابن متى؟ قال: وما يدريك ما يونس؟ فقال الرسول: ذلك أخي كان نبيًا وأنا نبي، فأكب عداس على يدي الرسول –صلى الله عليه وسلم –وقدميه يقبلهما، ودخل في الإسلام.

ولما جاء النبي –صلى الله عليه وسلم - يدخل إلى مكة ومعه زيد بن الحارث، قال: يا رسول الله تدخل إليهم وقد أخرجوك؟ يعني كيف ندخل إلى مكة وهم قد طردونا، وأنا أتكلم عن الرسول –صلى الله عليه وسلم - الذي نسمعه في كل يوم خمس مرات في أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، نسمعها هنا وفي اليابان وكوريا ومساجد لوس أنجلس ونسمعها في كل مكان، فقد أعلى الله –عز وجل - له ذكره، ولكن البدايات كيف كانت؟ ونلاحظ زيد بن الحارث خادم عنده قال له: يا رسول الله ندخل إليهم وقد أخرجونا؟

يعني كيف ندخل ولا يوجد شخص مسلم مؤمن، الأرض أصبحت طاردة لا يوجد فيها أحد، فقال النبي –عليه الصلاة والسلام - بقول الواثق: يا زيد إني نبي الله وإنه لن يضيعني، أي أنه تكليف من الله-عز وجل- هو

الذي كلفني بتلك النبوة وكلفني بإخراج العباد من عبادة العِباد الى عبادة رب العباد وأن آتيهم بالتوحيد أن لا إله إلا الله وأن أخرج عنهم هذه الأصنام، والمقصود أن الأمر ليس خيار أن يترك هذه الدعوة ويترك الناس بهذا الظلم وبهذا الطغيان الذي يعيشون فيه، فرجع النبي - عليه الصلاة والسلام - وقد أجاره جبير بن مطعم إلى آخر القصة.

مكث النبي -عليه الصلاة والسلام - بهذا الحال دون رفيقته، دون خديجة - رضي الله عنها - ودون أبو طالب أيضًا الذي توفي في العام نفسه، ولا يوجد معه أحد وقد اشتد أذى المشركين، خلال هذا يحكي النبي -صلى الله عليه وسلم - عن حادثة مفصلية حدثت له، فذات ليلة صلى النبي -عليه الصلاة والسلام -العشاء ونام في الحجر الذي بجانب الكعبة، وهدأت العيون في ظلام مكة ولم يبقَ أحد:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ: " بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ، - وَرُبَّمَا قَالَ: فِي الحِجْرِ - مُضْطَجِعًا إِذْ أَتَانِي آتٍ، فَقَدَّ: قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ - فَقُلْتُ لِلْجَارُودِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي: مَا يَعْنِي بِهِ؟ قَالَ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ، وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: مِنْ قَصِّهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَانًا، فَغُسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ ثُمَّ أُعِيدَ ..

في رواية أخرى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ "، قَالَ أَنَسٌ: «وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ».[أخرجه مسلم، صحيح]

.. ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ البَغْلِ، وَفَوْقَ الحِمَارِ أَبْيَضَ، - فَقَالَ لَهُ الجَارُودُ: هُوَ البُرَاقُ يَا أَبَا حَمْزَةَ؟ قَالَ أَنَسٌ: نَعَمْ - يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ

المَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى [ص:٥٤] السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هَذَانِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا البَاطِنَانِ فَنَهْرَانِ فِي الجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالنِّيلُ وَالفُرَاتُ، ثُمَّ رُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ فَقَالَ: هِيَ الفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلَوَاتُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَا أُمِرْتَ؟ قَالَ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاَةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَوَضَعَ عَنِّي عَشْرًا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي " [أخرجه البخاري، صحيح

فكأن النبي - عليه الصلاة والسلام - سافر كل ذلك السفر الطويل ومر على كل هؤلاء حتى يؤخذ هذا الأمر والوحي السماوي بفرضية الصلاة، فهي لم تُفرَض حتى السنة التاسعة من الهجرة، فقد كان المسلمون يعذبون على لا إله إلا الله فقط، وعلى محمد رسول الله، فلم تنزل فروض ولم تنزل أحكام، كانوا فقط يدفعون ثمن كلمة التوحيد،

في هذه الحادثة فرضت فيها الصلاة وأول ما فرضت فرض الله عز وجل خمسين صلاة في كل يوم، إذًا نحن نتكلم عن ٢٤ ساعة يعني كأن نصلي كل نصف ساعة! والآن نحن نصلي خمس صلوات ولحياء النبي - عليه الصلاة

والسلام- من ربه وشدة عبوديته له وكلمته "ولكني أرضى وأسلم" أجاز الله - عز وجل - لنا أننا نصلي خمس صلوات وهي بالميزان خمسين صلاة.

ومضت الفريضة على هذه الخمس صلوات حتى رجع النبي - عليه الصلاة والسلام - فيقول: "لمَا كان ليلة أسْرِيَ بي، وأصبحتُ بمكة، فَظِعْتُ بأمري، وعرفتُ أن الناس مُكَذِّبِيّ .." [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح], فقد كان في بيت المقدس واستيقظ فإذا به رجع لمكة في خلال الليل، فيقول فظعت يعني ركبه هم، ويقول وعرفت أن الناس مكذبي، لأن الشيء الذي حصل مستحيل، ونحن الآن إنما نصدقه لأنه حديث صحيح ولأن الله - عز وجل - أنزله في القرآن، قال تعالى: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَه ) (الإسراء:١).

فما هذه الدابة التي أخذته وكيف سافر في أقل من ساعة في ذلك الوقت وصعد السماء، المشاهد من غير السهل أن يتقبلها الإنسان.

**<u>وهنا دعونا نتأمل أمرين:</u>**

**الأمر الأول** أنه كما ذكرنا سابقًا فقد حدثت هذه الحادثة في وقت صعب جدًا على النبي - صلى الله عليه وسلم - وبهذا فقد رأى الأرض من زاوية أكبر فعندما شاهد كل ذلك من العالم العلوي ورأى من البشائر الجنة ومن النذر التعذيب، ورأى كل الأنبياء والتقى بهم وصلى بهم عرف النبي - عليه الصلاة والسلام - أن كفار قريش نقطة في بحر كبير من البشرية وتاريخ البشرية،

فعندما يكون الحق معك يجب أن لا تضيق بضيق الدنيا فهي ضيقة، ومع مخالفة الناس لك لأنك لا تزال ثابت على مبادئك وتريد أن تقترب من الله أكثر فتذكر قوم لوط وكيف كان يعيش نبي الله في قوم يفعلون الفحش وهو من أكبر الكبائر واعلم أنه وإن كان كل البشر ضدك أن هناك نور عند الله - عز وجل - لا يقذفه إلا في قلب من يتمسك بالحق.

**<u>الأمر الثاني</u>** دعونا نتأمل لقاء النبي - عليه الصلاة والسلام - بالأنبياء، فقد التقى بهم جميعًا وقت الصلاة ولكنه التقى بأسماء محدودة في السماء، آدم - عليه السلام - فوق النبوة الأبوة فآدم هو أبو الأنبياء، نبي يجمع بين النبوة والأبوة، ويحيى وزكريا وعيسى ابن مريم، فعيسى أقرب الأنبياء إلى النبي - عليه الصلاة والسلام - من الناحية الزمنية، ولذلك عيسى هو الذي يقول " : ومبشرا برسول يأتي من بعدي أسمه أحمد " (الصف:٦). ولذلك النصارى يعرفونه فهو مكتوب عندهم في الإنجيل، ثم يأتي بعد ذلك يوسف وهارون وموسى - عليهم السلام -، وموسى لأنه عالج بني إسرائيل لسنوات طوال وأُوذي بأذىً ربما لم يحصل لنبي مثله لشدة معالجته لبني إسرائيل،

عَنْ عَبْدِاللهِ بن مسعود، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»،..... "[أخرجه مسلم، صحيح] .

وهي التي لم يصل إليها نبي مرسل ولا ملَك مقرب، وإذا كان هذا علو النبي - عليه الصلاة والسلام - فهو علو لأمته من بعده، ومعنى هذا الكلام أن الله - عز وجل - قد اختار هذه الأمة لتكون شاهدة على الناس، فالآن نحن لا نأخذ هذا الكلام على أنه نوع من التشريف بل نأخذه على أنه نوع من التكليف ( كنتم خير أمة أخرجت لناس)(آل عمران:١١٠)، ولم تقف الآية إلى هنا فقط بل هناك وصف لهذه الأمة، صفتين: ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) (آل عمران :١١٠).

إذًا هذه رسالتنا وهذا الشيء الذي لا نستطيع أن نتخلى عنه، كما لم يتخلَّ عنه النبي - عليه الصلاة والسلام - وكما أنه لم يتوقف حتى عندما طُرد من مكة ومن الطائف وحتى عندما عُذِّب أصحابه وكل من كان يسلم معه ولم يكن يملك أي شيء فقالوا يا رسول الله : ألا تدعوا لنا؟ ألا تستنصر لنا ؟ بمعنى أملنا فيك للخروج من هذا العذاب والتنكيل فيا رسول الله افعل لنا شيء، نحن مؤمنون بك فادعُ الله لينقذنا، فقال لهم " : صبرًا آل ياسر إن موعدكم الجنة".

عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ، وَكَانَ بَنُو مَخْزُومٍ يُعَذِّبُونَهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»[أخرجه الحاكم في المستدرك]

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»[أخرجه البخاري، صحيح]

فما أعطاهم النبي - عليه الصلاة والسلام - حتى بارقة أمل أنه بالإمكان كون الدنيا كلها لهم أو أنه سيكون هناك زمن المسلمون فيه أكثر من مليار نسمة، كانوا بمجرد قلة قليلة.

إذًا هذه الامة قد حصلت على خيرية فوق الأمم بأجمعها وحصلت على هذه المرتبة العليا بعلو نبيها لكنها منوطة بهذا الشرط: ( تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ) (آل عمران :١١٠).

دعونا الآن نعود إلى القصة، رجع النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى اللحظة التي عاد فيها إلى مكة فجلس في مكانه سارحاً مهموماً يفكر كيف يقول لهم، فمر به في هذه اللحظة أبو جهل، فمر به مرتين ورأى النبي - عليه السلام – شارد الذهن لم يتكلم معه ولم يدعُه، فشعر أن هناك أمر غريب، فقال له: محمد هل من خبر؟ فقال النبي - عليه الصلاة والسلام- : نعم، والنبي - عليه الصلاة والسلام - يعرف أن هذا هو عدو الله وأول شخص سيكذبه، لكن الذي حصل ليس حادثة سرية ، ويجب أن يبلغها للناس لأنه مأمور بالبلاغِ والدعوة.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله -صلي الله عليه وسلم-: "لماِ كان ليلة أسْرِيَ بي، وأصبحتُ بمكة، فَظِعْتُ بأمري، وعرفتُ أن الناس مُكَذِّبِيّ"، فقعدَ معتزلاً حزيناً  قال: فمر عدوُّ الله أبو جهل، فجاء حتى جلس إليه، فقال له كالمسَتهزئ: هل كان من شيءٍ؟، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "نعم"، قال: ما هو؟، قال. "إنه أسْرِيَ بيَ الليلة"، قال: إلى أين؟، قال: "إلى بيت المقدس"، قال: ثم أصبحتَ بين ظَهْرَانَيناْ؟، قال: "نعم"، قال: فلم يُرِ أنه يُكذِّبه، مخافةَ أن يجْحَدَه الحديثَ إذا دعا قومَه إليه!، قال: أرأيتَ إن دعَوتُ قومَك تحدِّثُهم ما حدثتني؟، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "نعم"، فقال: هيَّا معشرَ بني كعب بن لؤي، قال: فانَتفَضَتْ إليه المجالس، وجاؤوا حتي جلسوا إليهما، قال: حدّثْ قومَك بما حدثتني، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إني أُسريَ بي الليلة"، قالوا: إلىَ أين؟، قلت: "إلى بيت المقدس"، قالوا: ثم أصبحتَ بين ظهرانينا؟، قال: "نعم"، قال: فمن بَيْنِ مُصَفّقٍ، ومن بينِ واضع يدَه على رأسه، مِتعجباً للكذب زَعَم!، قالوا: وهل تستطَيع أن تنعت لنا المسجدَ، وفي القوم منْ قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فذهبتُ أَنعَتُ، فما زلت أنعت حتى التَبَسَ عليَّ بعفضُ النعت"، قال: "فجيء بالمسجد  وأنا انظر، حتى وُضِع دونَ دار عقال أو عُقَيل، فنعتُّه وأنا انظر إليه"، قال: وكان مع هذا نعتٌ لم أحفظه، قالَ: فقال القوم: أمَّا النعت فوالله لقد أصاب. [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح]

فهل تتخيلون النبي - عليه الصلاة والسلام – وهو مستمر يقول التفاصيل وهذا الجو العام الذي يسمعونه أحدهم يصفق بيده وآخر واضع يده على رأسه يعني ما هذا قد جُن محمد! فالكلام الذي كان يقوله لا يقبله عقل، أمر مستحيل لدرجة أن بعض حديثي الإسلام ارتدوا عند سماعهم لهذا الكلام، وفي هذه الأثناء طار الخبر بين أهل مكة كلهم أن النبي - عليه الصلاة والسلام - أسري به في ليلة فوصل الخبر إلى أبو بكر الذي كان خارج مكة، فجاء ناس يركضون وقريش تحب أبا بكر لأنه من أغنيائهم ومن الذين يكرمون الضعفاء والفقراء وغيرهم.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: " لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى أَصْبَحَ يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِذَلِكَ، فَارْتَدَّ نَاسٌ فَمَنْ كَانَ آمَنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ، وَسَعَوْا بِذَلِكَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: أَوَ قَالَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ كَانَ قَالَ ذَلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: أَوَ تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ ذَهَبَ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لَأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذَلِكَ أُصَدِّقُهُ بِخَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ.[أخرجه الحاكم في المستدرك، وقال: حديث صحيح]

فلنتأمل هنا كيف قاسها أبو بكر بعقله، إذا كنت أصدقه بخبر السماء وبالوحي فكيف بشيء بسيط كالذهاب لبيت المقدس؟ ولذلك أُطلِق عليه بعد ذلك لقب أبوبكرٍ الصديق، فجاء المشركين يريدون أن يمتحنونه في بيت المقدس، فهم يعرفون أن محمد – عليه السلام - لم يسافر أبداً إلى فلسطين ولا إلى بيت المقدس فهو ولدهم ويعيش بينهم كل هذه السنوات ٥٠ سنة لم يذهب سوى إلى الشام وهو صغير، ولم يكن في ذلك الزمان صور لكي يراها فلا يمكن لإنسان وصفها إلا إذا كان ذهب إليها،

فعندما وصفه وصف دقيق قالوا:  أمَّا النَّعْتُ، فقد صدق، أي أن الناس الذين ذهبوا لبيت المقدس قالوها صراحةً أن الوصف صحيح، ثم قالوا : هناك قافلة ستصل بعد أيام، هل رأيتها وأنت في طريقك؟ فقال لهم:

بلا يقدمهم الجمل الأورق، فشرح لهم النبي عليه الصلاة والسلام، فقالوا: بيننا وبينك آية، أي سننتظرهم حتى يصلون وسنسألهم إن كان هذا الأمر صحيح.

وبالفعل حصل هذا الأمر، وصلوا وذكروا لهم هذه الحادثة بعينهم، ومع ذلك لم تُسلم قريش رغم هذا كله، ولما جاء وصف هذه الحادثة في القرآن جاءت في آية واحدة فقط، في قول الله - عز وجل - في سورة الإسراء :﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾(الإسراء:١)

ونلاحظ هنا أن الله - عز وجل - لم يقل " ألم يأتك نبأ الإسراء" مثلاً ، " هل أتاك حديث الإسراء " مثل سور أخرى، هذه السورة الوحيدة التي بدأت بكلمة " سبحان " والتسبيح هو تنزيه الله - عز وجل - من النقائص ومن كل نقص أو عيبٍ، إذًا لأن الحادثة ممكن الإنسان يظن أنها لا تدخل في عقل أو أنها معجزة أو أنها شيء يحتاج إلى قدرة إلهية، فبدأت هذه الحادثة كلها وذكرها بهذه الكلمة ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾(الإسراء:١). ونلاحظ هنا كلمة عبده، عندما نتكلم عن العبودية هي أشرف اسم ممكن أن يتسمى به الإنسان هي العبودية، ولم يكني الله - عز وجل – النبي - عليه الصلاة والسلام - في الكتاب بعبده إلا في المواطن التي فيها نوع من التكريم ﴿أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾ (الكهف:١)، أو مثلاً عندما امتدح الله - عز وجل -عباده، قال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأرض هَوْناً﴾ (الفرقان:٦٣). وتعددت تلك الصفات فالنبي - عليه الصلاة والسلام - في هذا الموقف الذي وصل فيه إلى سدرة المنتهى المقام العالي، يقول الله - عز وجل-: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء:١).

وهنا وقفة يجب أن نقف عندها قليلًا، ما هو أعظم اسم يحاول أحدنا الحصول عليه في حياته؟ أول سعودي حصل على منصب؟ أول امرأة تعمل في وظيفة معينة؟ ماذا نحب أن يقترن اسمنا به في السيرة الذاتية؟ اللقب أو الكنية التي نتمناها؟

النبي - عليه الصلاة والسلام - خُير بين أن يكون ملكًا رسولًا أو أن يكون عبدًا نبيًّا، فاختار - عليه الصلاة والسلام - أن يكون عبدًا ولم يختر الملك، مع أن الملك سيعطيه الدنيا بأكملها كما حصل مع نبي الله سليمان -عليه السلام - فأتاه الله - عز وجل-: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ (ص:٣٦). فالريح تتحرك بإشارة منه، والشياطين والجن كلها سُخرت له؛ لأنه طلب، فالنبي - عليه الصلاة والسلام - خُيّر بين الملك وبين العبودية فاختار أن يكون عبدًا نبيًا، اختار النبوة مع الرسالة هذا التكليف العظيم وأن يكون عبداً لله.

ولذلك عندما جاء إلى عائشة - رضي الله عنها - ورأته وقد اخشوشنت قدم النبي - عليه الصلاة السلام -وتشققت وتفطرت قدماه:

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفَطَّرَ رِجْلَاهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَصْنَعُ هَذَا، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا» [أخرجه مسلم، صحيح]

تخيلوا النبي -عليه الصلاة والسلام - يضع نفسه في مرتبة العبودية وهذه المرتبة التي رفعت النبي - عليه الصلاة والسلام - في الإسراء والمعراج وهي التي سترتفع أيضاً بنبينا - عليه الصلاة والسلام - في آخر فقرة من فقرات البشرية حينما يشفع عند الله - عز وجل - لفصل الحساب قبل أن يدخل الناس الجنة،

فلا يكون لأحد ذلك الشرف في بداية فصل الحساب، كل الأنبياء يقولون: لست لها، لست لها، إني قد فعلت كذا وكذا، إلا رسولنا يقول: أنا لها، ثم يذهب فيسجد تحت العرش،

إذن ما هو الاسم الذي ترغب أن يكون مربوط بك؟ لأنه بناءً على جوابك هذا المفترض أن يتحدد نمط حياتك، فإذا كنا مجرد عبيد ونقول: أنا عبد لله - عز وجل -، على هذا الأساس ستتغير أشياء كثيرة مما نحب ومما نكره، فهل ما أحبه يرضي الله - عز وجل - أو يسخطه؟ هل ما أكرهه هو يحبه الله - عز وجل - أو يكرهه؟

مهم أن نعرف ماذا نحب، وماذا يريد الله -عز وجل - ويأمرنا به، وماذا ينهانا عنه، لأن هذا يجعلنا نقرر حياتنا بشكل أوضح، فالشرف أن تكون عبدًا لله، والذلّ أن تكون عبدًا لغيره، احرص على وضع الآخرين تحت الأرقام الشخصية الذين هم الأسباب التي تجعلك تدور على نفسك، هم شلّة أو مجموعة أو أقارب أو أصدقاء، من هؤلاء الناس؟

أي عبودية لله شرف وأي عبودية لغيره ذلّ، فالعبودية أن تأتمر بأمر هؤلاء، وهم الذين يملون عليك هل تفعل أو لا تفعل، تحب أو لا تحب، تكره أو لا تكره، بناءً على هؤلاء الأشخاص الموجودين في حياتك، فاختَر أن تكون عبدًا لمن؟!

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول عنه المُغِيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيَقُومُ لِيُصَلِّيَ حَتَّى تَرِمُ قَدَمَاهُ - أَوْ سَاقَاهُ - فَيُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: «أَفَلاَ أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»[أخرجه البخاري، صحيح] .

لم يفرّط بعلاقة هذه العبودية بينه وبين الله - عز وجل-، لماذا يكون شرفًا؟ لأننا نتكلم عن قدرة الإلهية، فالذي حصل مع النبي - عليه الصلاة والسلام - هي معجزة، كرامة النبي لا يمكن أن تحصل لأي أحد ولذلك لم تحصل لأحد إلا النبي - عليه الصلاة والسلام-، أن يرتفع ذلك الارتفاع ويخرج خارج السماوات السبع الدنيا، إذا تكلمنا نحن عن كل الفضاء والصواريخ وغيرها نحن نتكلم عن الغلاف الجوي فقط، اخترق الغلاف الجوي أم لم يخترق؟! نحن لا نعرف كم عدد السماوات وطبقات الأفلاك الموجودة أصلًا،

النبي - صلى الله عليه وسلم - سمع صرير الأقلام وهي تكتب القدر، معنى ذلك أنه يوجد عالم علوي مختلف، فحينما تعرف أنك تركن إلى هذا الرب، وهذا الرب القدير القادر الجبار هو الذي يدبر لك أمورك فمم تخاف؟ ومم تخشى؟ وعن أي رزق تخاف وهو سبحانه الرزاق؟ ومن الناس الذين تخاف منهم وهو يصرّف أمورهم، ليس أمرك فقط إنما يصرف أمورهم أيضًا. فإذا عرفت أن الله - عز وجل - هو بهذه المكانة وبهذا القدر فكيف لا تعبده حق عبادته؟

**الأمر الثالث:** اختيار المكان فيه أكثر من درس:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾**(الإسراء:١)**.

لماذا لم يُسرى به إلى بغداد؟ لماذا لم يذهب إلى صنعاء؟ لماذا لم يذهب إلى دمشق؟ لماذا لم يكن المسرى من أي مكان آخر؟ عن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «المَسْجِدُ الحَرَامُ» قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ «المَسْجِدُ الأَقْصَى» قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الفَضْلَ فِيهِ» [أخرجه البخاري، صحيح] ، ثم بعدها بقرون جاء البيت الثالث: المسجد النبوي. الذي بناه النبي - عليه الصلاة والسلام -، إذن أقدم المساجد البيت الحرام (الكعبة) والمسجد الأقصى والذي كان مهد الرسالات والنبوات كلها نزلت ومر الأنبياء من هناك، فلماذا نحن كمسلمين نبينا يسرى به إلى هناك؟

لأن رسالة الإسلام هي الخاتمة وهذا الكتاب هو المهيمن على غيره من الكتب والأديان، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾(المائدة:٤٨) فكلمة المهيمن أي أنه الخاتم وهو النبي المرسل وهو آخر الأنبياء.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى " [أخرجه البخاري، صحيح]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ»، قَالَ: " فَرَفَعَهُ اللهُ لِي أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَإِذَا مُوسَى قَائِمٌ يُصَلِّي، فَإِذَا رَجُلٌ ضَرْبٌ، جَعْدٌ كَأَنَّهُ مِنْ رِجَالِ شَنُوءَةَ، وَإِذَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَقْرَبُ النَّاسِ بِهِ شَبَهًا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ، وَإِذَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَائِمٌ يُصَلِّي، أَشْبَهُ النَّاسِ بِهِ صَاحِبُكُمْ - يَعْنِي نَفْسَهُ - فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَأَمَمْتُهُمْ، فَلَمَّا فَرَغْتُ مِنَ الصَّلَاةِ قَالَ قَائِلٌ: يَا مُحَمَّدُ، هَذَا مَالِكٌ صَاحِبُ النَّارِ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَبَدَأَنِي بِالسَّلَامِ" [أخرجه مسلم، صحيح]

رأى النبي - صلى الله عليه وسلم - موسى وعيسى - عليهم السلام - ورأى جميع الأنبياء، قال: فأممتهم، فصلى بهم النبي - عليه الصلاة والسلام -، بعد أن قدمه جبريل، إذن هذه الرسالة هي الخاتمة، ولن يبقى دين غير دين الإسلام، يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران: ٨٥).

عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، أتى النبي صلى الله عليه وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه على النبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال: " أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني " [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: حسن]

وهذا لأن هذه رسالة الله الأخيرة، فحتى موسى لو كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبع هذا الدين، إذن لا يوجد شيء اسمه دين وسط، ولا دين إبراهيمي، ولا دعونا نصل إلى مرحلة من التعايش، ومن الحوار بين الأديان، لأننا كلنا نعبد عبادة واحدة، كالذي يقول دين واحد وعبودية واحدة، الصلاة في القلب ولا يوجد فيها ركوع ولا سجود، فعندما نقول هذا الدين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(آل عمران: ٨٥).

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾(آل عمران: 19).

لهذا لا يوجد دين آخر، وعندما تعلم أن الله منّ عليك فوجدت هذا الدين فتمسّك به، جعلك الله في هذا الدين ثم تضيع، الله - سبحانه وتعالى - أنبتك وجعلك مسلمًا بخلقتك من غير أن تأخذ هذا القرار، يقول الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾( البقرة: ١٤٣)

مرت علينا أيضًا من المواقف عندما أعطاه جبريل الإناء فإذا إناء فيه خمر وإناء فيه لبن، الآن النصارى عندهم شرب الخمر جائز، يشربونه حتى في كنائسهم، وفي عبادات معينة يشربونه فيها، فالنبي - عليه الصلاة والسلام - لم يشرب الخمر رغم أنه لم يحرّم أصلًا في ذلك الوقت، ومع ذلك اختار اللبن، فاختياره للبن معناه اختياره للفطرة، ولذلك بقيت هذه الأمة على الفطرة، يقول الله عز وجل: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ (الروم:٣٠).

قالوا لو كان للفطرة جسم، يعني فطرة الإنسان وما يحبه وما يرتاح له جسم وجرم، فإن الإسلام هو اللباس المفصل على هذا الجسم، لأن الإسلام جاء مفصلًا على فطرة الإنسان، فلا يكبته ولا يفلته، فلا نحن الذي يتعامل معنا الإسلام كأننا ملائكة لا يمكن أن نخطئ، ولا يتعامل معنا كأننا والبهائم سواء، بل نحن بشر، فالإسلام يعاملنا بهذا المفهوم، لهذا لو أن الفطرة لها جسم لكان الإسلام هو الثوب الذي فُصّل عليها.

وكل الحادثة قد حصلت من أجل فرض الصلاة، فلما صعد النبي - عليه الصلاة والسلام - إلى أعلى نقطة فُرضت الصلاة، وهي العبادة الوحيدة من الأركان الخمسة كلها التي صعد النبي - عليه الصلاة والسلام - لتنزل عليه فريضته، هذا الشيء يعطينا إحساس بعظم الصلاة، وأنها ليست شيء هيّن نفرط فيه أو نؤخره أو نتنازل فيه أو ننام عن صلاة الفجر، أو نجمع الظهر والعصر أو غيرها،

فكل هذا يعني أن العبادة عظيمة عند الله –عز وجل - إلى درجة أنها شرّفت بأنها فرضت في الأعلى، ومع ذلك فرضت أول ما فرضت بخمسين ثم خففت إلى خمس، رحمة الله –عز وجل - بهذه الأمة التي هي أقصر الأمم أعمارًا، فأعمار أمتي ما بين الخمسين والستين، أعمار الأمم السابقة بالآلاف، ومع ذلك هذه الأمة أكثر الناس في الجنة .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "....، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ " فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الجَنَّةِ» فَكَبَّرْنَا، فَقَالَ: «مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّعَرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَبْيَضَ، أَوْ كَشَعَرَةٍ بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ ثَوْرٍ أَسْوَدَ»[أخرجه البخاري، صحيح]

إذن لماذا هذا العدد الأكبر، لأن أعمارنا أقصر، وأعمالنا مضاعفة، فكل ما أردت أن تعمل شيء من هذه الأعمال تتضاعف أجرًا وثقلًا، فمثلًا نحن نصلي خمس صلوات في اليوم وغيرنا من الأمم كانوا يصلون صلاة واحدة في الأسبوع صلاة يوم الأحد، ومع ذلك يهجرون حتى كنائسهم، لذلك سمحوا بالرقص، بالغناء فعندهم نوع من الأناشيد دائمًا ينشدونها لمجرد جذب الناس، ومع ذلك هُجِرت تلك الكنائس وهي صلاة واحدة في الأسبوع، فكيف بخمس صلوات في اليوم والليلة وأمة محمد – صلى الله عليه وسلم - ما زالت باقية على تلك الصلوات وذلك لفريضتها.

موقف آخر أيضًا: شجاعة النبي - عليه الصلاة والسلام -، لاحظوا الرسول - عليه الصلاة والسلام - بشر ويعرف أن الذي حصل له ليس أمرًا طبيعيًا، فهو يقول عن نفسه: {فضعت بأمري} بمعنى أنه لم يعرف ماذا يفعل في هذه اللحظة التي لا بد أن يبلغ فيها الناس هو يعلم أنهم سيكذبونه، وبالفعل كذبوه،

ومع ذلك هل أثر ذلك على النبي - عليه الصلاة والسلام - وقال أنه لا يستطيع أن يخبرهم لأن عقولهم لن تقبله؟ لا بل لم يسكت، وهنا نتذكر شخصية النبي - عليه الصلاة والسلام- التي أخذناها في درس الحياء أنه كان أشد حياء من العذراء في خدرها وكان أرحم الناس وكان ألين الناس وما خُيّر بين شيئين إلا اختار أيسرهما،

ورغم هذا كله نجد أيضًا أنه كان أشجع الناس وكان الصحابة يقولون شجاع وما يحاذيه أحد في المعارك، ونرى شخصيته كنبي ورسول - عليه الصلاة والسلام – أنه عندما جاء في مقام الإنذار والدعوة لم يتوقف -صلى الله عليه و سلم - ولم يهادن بل وقف ذلك الموقف والناس تصفق من التكذيب وتصفر وتضع يديها على رؤوسها، وعلى الرغم من ذلك استمر النبي - عليه الصلاة والسلام - ولو كذبه كل الناس وهذه من شجاعة النبي - عليه الصلاة والسلام - وشجاعة أمته من بعده،

فعندما نقرأ في السير عن مواقف للصحابة ومواقف لقاده المسلمين في معاركهم على مر القرون المختلفة نرى الشجاعة في المفاوضات، فكيف الواحد يقف أمام امبراطور أو أمام ملك ويقول: ما جاء بكم؟ فيأتي بجواب ممتلئ وفخم يتناسب مع الإسلام والشريعة، فقد هم فهموا هذه الرسالة ولا شيء يخيفنا طالما نحن ندعوا إلى دين الله - عز وجل -.

وعندما رأى إبراهيم - عليه السلام - في السماء السابعة:

عن أبي أيوب الأنصاري: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به مر على إبراهيم، فقال: " من معك يا جبريل؟ قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم: مر أمتك فليكثروا من غراس الجنة، فإن تربتها طيبة،

وأرضها واسعة قال: وما غراس الجنة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله" [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح لغيره] . فإبراهيم - عليه السلام - يوصينا نحن فيقول: للنبي -عليه الصلاة والسلام - مُر أمتك من بعدك فليكثروا من غراس الجنة فإن تربتها طيبة وأرضها واسعة، يعني فليغرسوا ويزرعوا فيها بقولهم: لا حول ولا قوه إلا بالله، وفي رواية أخرى: وإنها قيعان وإن غراسها سبحان الله والحمدلله ولا إله الا الله والله أكبر،

إذاً لو كنا سنخرج بوصية فهذه وصية دائمة في كل درس، وهي ذكر الله – عز وجل - المربوط في اللسان ، فإذا أردت أن لا تكون من الغافلين فكُن ذاكرًا لله –عز وجل - بلسانك، إذا أردت أن تكون من أهل الجنة و أن يكون لك ذلك الغرس الواسع فاستكثر من ذلك الغراس،

عَنْ عَبْدِاللهِ بن مسعود، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: " {إِذْ يَغْشَى} [النجم: ١٦] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى "، قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: " فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ " [أخرجه مسلم، صحيح] .

فإذا أنت لم تشرك بالله -عز وجل - فأنت حتى تلك الذنوب الكبائر قد تُغفر لك إذا مت وأنت موحد لا تشرك بالله شيئاً، ولذلك هي لا إله إلا الله، مهم جدًا أن نحافظ عليها ونحميها من أي خدش يمكن أن يحصل فيها ، فكل الكلام عن أي نوع من سكينة أو طمأنينة في غير كلام الله - عز وجل- أو أي شيء من البدع التي يبتدعها الناس كأن تقرأ آية معينة أربعين مرة على وقت معين في الساعة الفلانية، احذروا من هذه الأمور التي قد تقدح بلا إله إلا الله لأنك تجد نفسك ستظن أن هناك قوة غير الله -عز وجل - أو أحد غير الله يملك أن يصيبك بضر أو يصيبك بنفع، وأخيرًا:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ، قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ " [أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح]

فاحذروا من الوقوع في أعراض الناس سواء هؤلاء الناس عاديين ممن نعرف أو حتى المشاهير، إذا لم يكونوا مجاهرين بالذنب، يعني على الهواء مباشرة، لكن الدخول في النوايا أو الأعراض أو الدخول ما وراء الحدث فهنا خط أحمر لا يدخل المسلم ولا المؤمن فيها، لذلك لابد أن تنتبه للسانك فيم يتكلم، ونلاحظ يخمشون وجوههم بأظفار من نحاس، نوع من العذاب البرزخي لأنهم يأكلون لحوم الناس.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مررت ليلة أسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء من أهل الدنيا، كانوا يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟" [أخرجه أحمد في مسنده، وقال الألباني: صحيح]

نسأل الله العافية، فإذاً الناس التي تأمر الناس بالخير وهم لا يفعلونه، وهنا نفرق بين الإنسان الذي يمثل حتى يظهر للناس أنه خيِّر وينهى الناس وهو عاصٍ وبين الواقع في المعصية ولكن يأمر غيره حتى لا يقعوا

في الشيء الذي وقع فيه، ودائمًا أضرب مثال الأب الذي يدخن فلو رأى ابنه يدخن فجزمًا سينهاه ويقول له: أنا لم أستطع التغلب على التدخين ولكنك أقوى مني وسيقوم بتوجيهه وتحذيره ومنعه تمامًا من التدخين، ولذلك النبي - عليه الصلاة والسلام - جاء بهؤلاء الذين يخمشون وجوههم وهؤلاء الذين تقرض شفاههم بالمقاريض وكذلك: : " ...، وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا،..." [أخرجه البخاري، صحيح]

فيجب الحذر من الربا فلا نضع أموالنا في قرض فيه ربا ولا ندخل في معاملات ربوية، مهم أن الإنسان ينزه نفسه ما استطاع، اتقوا الله ما استطعتم، فأن تنقي نفسك ومالك من الربا أمر مهم، فهناك أناس عذابهم في البرزخ أن يسبحوا في نهر الدم لأنهم كانوا يأكلون الربا!

ونختم بشيء أخير وهو ما ابتدأنا به في الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى،

أريد أن أقول أنه لو وصل إلى المسجد الأقصى وصل إلى المسجد الحرام ولو سقط المسجد الأقصى سقط المسجد الحرام، فبينهما ترابط ولذلك اليهود في وقت أرناط القائد الصليبي المعروف بالحروب الصليبية، عندما استولوا على القدس أرسل كتيبة من الصليبيين إلى الحجاز حتى يُخرجوا النبي - عليه الصلاة والسلام - من قبره، وهنا نعلم أنهم يريدون فلسطين وبيت المقدس،

النصارى ليس لهم شيء في الحرم وفي الكعبة وفي إبراهيم، ومع ذلك من غيضهم عندما وصلوا إلى بيت المقدس والمسجد الأقصى واستولوا عليها أرسلوا كتيبة حتى ينبشوا قبر النبي - عليه الصلاة والسلام – وقد تصدى لهم المماليك والعثمانيين ولم يجعلوهم يفعلون ما يريدون ، وجاء اليهود بعدهم بسنين في حرب ١٩٦٧ المعروفة التي انتصر فيها الإسرائيليون على مصر وغيرها، بنغريون القائد في وقتها جمع الشباب الجنود الإسرائيليين وخطب فيهم خطبة النصر، فلما خطب هذه الخطبة وشكرهم على جهودهم ثم قال: لقد استولينا الآن على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب وخيبر،

فهم الآن الأمر أمامهم واضح، الخطين الأزرقين في علم إسرائيل هي من النيل إلى الفرات، من النيل في مصر إلى الفرات، وتجمع معها أجزاء من السعودية فيما فيها الحرمين الموجودين، فتخيلوا هذا الذي يريدونه هو الحلم القديم ولذلك خطين أزرقين وبينهم نجمة إسرائيل التي هي شعار المملكة الكبرى التي يريدون،

إذًا المسجد الأقصى لو سقط يسقط من بعده المسجد الحرام، ولذلك ارتباطهم واختيارهم في رحلة الإسراء، حري بنا أن نتوقف هنا إلى هذه العلاقة الوثيقة بينهم ونعرف أن هذه العلاقة هي علاقه عقدية ليست قومية وليست عربية وليسوا لأنهم إخواننا في النسب ولا في القرب ولا في الرحم وإنما العلاقة بيننا وبينهم هي أخوة دين.

هذه كانت مجرد لمحة عن حدث مفصلي حدث في حياة النبي - عليه الصلاة والسلام - والتي كان من بعدها سنتين فقط ثم أُذِن للنبي -عليه الصلاة والسلام - بالهجرة من بعده وابتداء فصل آخر وأُقفِل فصل من فصول السيرة.

إلى هنا وأسأل الله أن يمتع عيوننا جميعاً برؤية النبي عليه - الصلاة والسلام - وأن يجعلنا من عباده الذين يشربون من حوضه، هذا والحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها

.